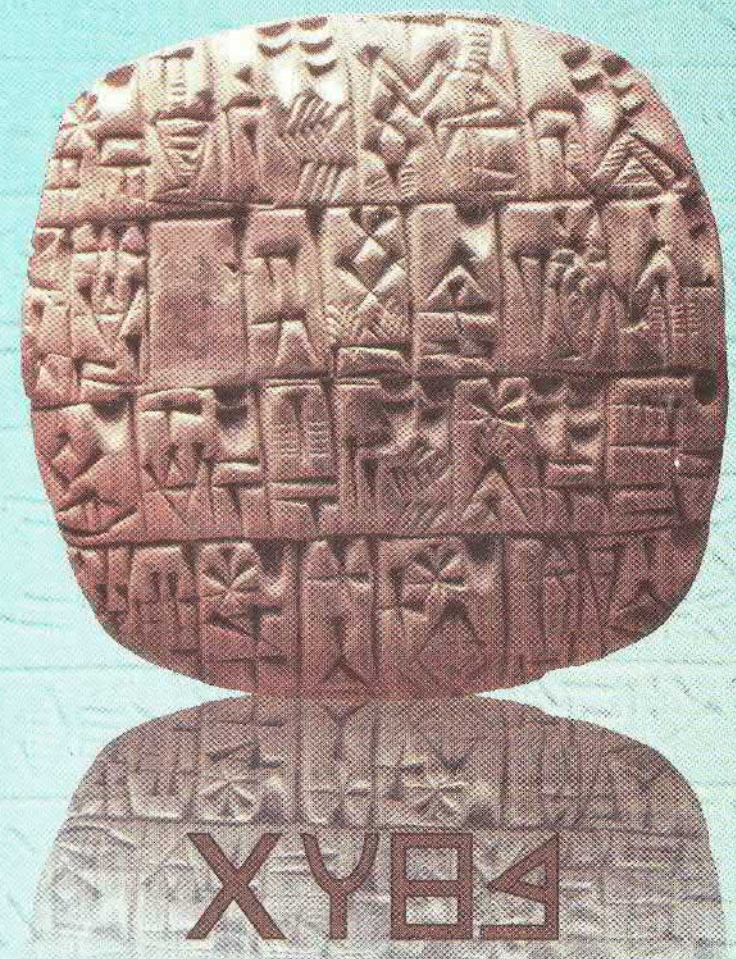
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان
مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر

بحوث سيميائية

مجلة علمية سنوية محكمة



ISSN : 2572-0228 EISSN : 2602-5469

المجلد 08 - العدد 14 - 27 جوان 2019

بحوث سيميائية

مجلة أكاديمية سنوية مُحكَّمة

تُعنى بكل البحوث والدراسات الأكاديمية ذات الصلة الوثيقة بالسيميائية وأشكال التعبير الشعبي والطقوس والممارسات الدينية في الجزائر باللغتيْن العربية والأجنبية

تصدر عن مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي في الجزائر
بجامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المجلد الثامن - العدد الرابع عشر

27 جوان 2019

كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع
شارع أول نوفمبر – باب الجياد – تلمسان – الجزائر
الهاتف / الفاكس: 06-40-38-43-(0) 213 +
www.kkonouz.com

نشر ابن خلدون
Editions IBN KHALDOUN
13 شارع العقيد لطفي – تلمسان – الجزائر
الفاكس: 043.27.12.02 – الهاتف: 043.27.14.10
E-mail : editions.ibn.khaldoun.@gmail.com

المدير المسؤول: أ.د رشيد بن مالك (جامعة تلمسان)

رئيس التحرير: أ.د عبد العالي بشير (جامعة تلمسان)

نائب رئيس التحرير: د. بغداد عبد الرحمن (المركز الجامعي مغنية)

مساعد محرر: د. علا عبد الرزاق (المركز الجامعي عين تموشنت)

السكرتير: بلعربي الطاهر larbitahar9@gmail.com

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبد الحميد بورايو (الجزائر)
أ.د. محمد الداعي (الرباط/ المغرب)
أ.د. برنار بوتييه (باريس/ فرنسا)
أ.د. أحمد يوسف (جامعة الجزائر)
أ.د. آن إينو باريس/ فرنسا)
أ.د. بوزيدة عبد القادر (الجزائر)
أ.د. عبد الحق بلعابد (جامعة قطر)
أ.د. يوسف أوغليسي (جامعة قسنطينة)
أ.د. بن كراد سعيد (الرباط/ المغرب)
أ.د. مسعود وقاد (جامعة الوادي)
أ.د. عقاد قادة (جامعة سيدي بلعباس)
أ.د. عائشة الدرمكي (جامعة سلطنة عمان)
أ.د. محمد فايد (المركز الجامعي بتيسمسيلت)

الهيئة العلمية

أ.د. عبد القادر هني (جامعة الجزائر/2)
أ.د. وحيد بوعزيز (جامعة الجزائر/2)
أ.د. أوشاطر مصطفى (جامعة تلمسان)
أ.د. حبيبة العلوي (جامعة الجزائر/2)
أ.د. عائشة الدرمكي (جامعة سلطنة عمان)
أ.د. أمينة بلعلا (جامعة تيزي وزو)
أ.د. أحمد يوسف (جامعة الجزائر)
أ.د. حواس مسعودي (جامعة الجزائر/2)
أ.د. بوزيدة عبد القادر (الجزائر)
أ.د. لخضر جمعي (جامعة الجزائر/2)
أ.د. خمري حسين (جامعة قسنطينة)
د. بن مالك الحبيب (جامعة تلمسان)
د. زرقة لطفي (جمعة تلمسان)
د. والي سهام (جامعة الجزائر/2)

الإعداد والمتابعة

أ.د. شافع بلعيد نصيرة
أ.د. بن مالك سيدي محمد
د. علا عبد الرزاق
د. بكاي محمد
العربي الطاهر- سلام عمر

اهتمامات المجلة العلمية

تُعْنى مجلة بحوث سيميائية بكل البحوث والدراسات الأكاديمية ذات الصلة الوثيقة بسيميائية أشكال التعبير الشعبي والطقوس والممارسات الدينية في الجزائر والأدب الشعبي. وتخضع مقالاتها للتحكيم، ولا تنشر إلا بعد عرضها على باحث أو خبير في الميدان. وهي مجلة مفتوحة للباحثين وطلبة الدراسات العليا الراغبين في نشر مقالاتهم في هذه المجلة.

وقد اشتملت المجلة منذ إنشائها على مجموعة من المحاور القارة، قسم البحث السيميائي المعاصر يعالج إشكالية ترجمة المصطلح والنظريات السيميائية المعاصرة، وآخر يعالج قضايا تطبيقية، التطبيقات على أشكال التعبير الشعبي (شعرا ونثرا) من منطلقات منهجية بنيوية وسيميائية. ويتناول القسم الثالث كل الدراسات الخاصة بالمدونات وأشكال التعبير الشعبي من حكايات ومتون شعرية وألغاز عبر الفترات التاريخية الكبرى التي عرفتها الجزائر. وأما القسم الأخير منها فقد خصصناه للدراسات بمختلف اللغات ومن بينها الإنجليزية والفرنسية.

وقد سعينا من وراء تأسيس هذه المجلة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في النقاط التالية:

1. ترقية البحث العلمي من خلال التكفل ببحوث طلبة الدكتوراه وتشجيعهم بنشرها في المجلة بعد عرضها على الخبراء.
2. الاهتمام بأحدث النظريات العلمية ونشرها.
3. مسح المتون المتعلقة بأشكال التعبير الشعبي ونشرها .
4. جمع النصوص والمخطوطات والقيام بتحقيقها ودراستها.
5. الوقوف عند القيم التي تعالجها مختلف أشكال التعبير الشعبي.

شروط النشر في مجلة بحوث سيميائية الإلكترونية

*** الرجاء مراعاة الشروط التالية - في المقال - قبل إرساله:**

1. **يتضمن المقال الاسم واللقب والرتبة العلمية ومكان العمل والبريد الإلكتروني واسم مخبر البحث (وفق النموذج في أعلى الصفحة).**
2. **يرفق المقال بملخص باللغة العربية واللغة الإنجليزية (لا يزيد عن 250 كلمة / في حدود عشرة (10) أسطر).**
3. **يرفق الملخص بالكلمات المفتاحية باللغة العربية واللغة الإنجليزية.**
4. **يكتب المقال باللغة العربية بخط simplified arabic حجم 16 وبخط Times new roman حجم 14 في اللغات الأجنبية.**
5. **تكتب الهوامش في آخر المقال بخط simplified arabic وبحجم 12.**
6. **تدون المصادر والمراجع في نهاية المقال في شكل قائمة مع مراعاة الترتيب الألف بائي.**
7. **يشترط في المقال أن يكون جديداً ولم يسبق نشره في مجلات أخرى.**
8. **يجب على صاحب المقال أن يتحلى بميثاق أخلاقية المهنة.**
9. **تلتزم المجلة بالمحافظة على حقوق المؤلف.**
10. **إرسال المقال عبر أرضية المجلات الوطنية ASJP إلى مجلة بحوث سيميائية.**
11. **نطلب مساهمة المؤلفين بإدخال المراجع البيبليوغرافية لمقلاتهم وفقا لما تشير إليه البوابة الإلكترونية للمجلات الوطنية (ASJP) بعد قبول مقالاتهم.**
12. **تستقبل هيئة التحرير مقالات كل عدد جديد ابتداءً من شهر جويلية إلى غاية شهر ماي من كل سنة.**

مع خالص الود والاحترام

رئيس تحرير مجلة "بحوث سيميائية"

أ.د عبد العالي بشير

افتتاحية العدد

إن هذا العدد الجديد الذي نقدمه للطلبة والباحثين المهتمين بقضايا المعنى ومختلف تجلياته في الأشكال التعبيرية المتنوعة يضم مجموعة من الدراسات تمس بصورة خاصة الاشتغال على المصطلح السيميائي والمفاهيم التي تعبره وهذا لقناعتنا بأن إدراك الحمولة المعرفية للمصطلح بوابة ستفضي بالقارئ إلى استيعاب التوجهات العامة على الأقل للدرس السيميائي المعاصر في جوانبه النظرية والتطبيقية.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، اهتدينا إلى مجموعة من الخيارات العلمية تتمثل في تنويع زوايا النظر تغطي التحري ليس فقط عن المستبدلات الراهنة المهيمنة على المشهد السيميائي المعاصر وتحديدا السيميائيات الهووية، بل البحث عن الخلفيات البنيوية للنظرية السيميائية. من منطلقات هذه القناعة العلمية الجماعية، صممنا المحاور العامة لهذا العدد الجديد من مجلة بحوث سيميائية، آملين أن يلقى فيه القارئ العربي ما يشفي غليله العلمي.

كلمة رئيس التحرير

لقد تم بعون الله وبتضافر جهود هيئة التحرير صدور العدد الرابع عشر والثاني إلكترونيا من مجلة **بحوث سيميائية**. وكلهم عزم على الإفادة من المكتسبات المحققة في الدرس السيميائي المعاصر، وإقامة تواصل علمي شفاف مع القارئ العربي لترقية البحث على الصعيدين النظري والتطبيقي.

وقد ضم هذا العدد مجموعة من المقالات القيمة، أغلبها شارك فيها أصحابها في الملتقى الوطني حول المصطلحية السيميائية / التطور التاريخي والإبستيمولوجيا المنعقد بجامعة تلمسان يومي 4-5 /2018/12.

وقد توزعت بقية المقالات على محاور المجلة القارة (مقالات سيميائية، الترجمة، والدراسات الشعبية). كما أتحنا الفرصة في هذا العدد لمجموعة من الأساتذة الباحثين و طلبة الدكتوراه لنشر مقالاتهم تشجيعا لهم.

وفي الأخير نرجو أن يجد الباحث في مقالات هذا العدد ما يشفي غليله ويخدم أبحاثه ودراساته الأكاديمية.

رئيس التحرير

أ.د عبد العالي بشير

الفهرس

افتتاحية العدد_____05

كلمة رئيس التحرير_____06

الفهرس_____07

الدّراسات السّيميائية

المصطلح السيميائي من خلال مشروع مدرسة باريس - المعجم المعقلن في نظرية اللغة

أ.د. بن مالك رشيد / جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان _____09

مصطلح التشاكل بين الترجمة والممارسة النقدية

أ.د عبد العالي بشير/ جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان _____15

السيميائيات من العمل إلى الهوى – قراءة في كتاب سيميائية الأهواء لغريماس وفونتاني

د. بغداد عبد الرحمن / المركز الجامعي مغنية _____27

أسس ترجمة المصطلح السيميائي

أ. سهام والي / جامعة الجزائر2_____43

السّرديات من الملفوظ إلى التلفُّظ: الراوي ووجهة النّظر

أ.د. سيدي محمَّد بن مالك / المركز الجامعي بمغنية _____60

عن الأصول السيميائيّة لمفهوم التمثيل

د. حبيبة العلوي / جامعة الجزائر2_____72

قراءة سيميائية في رواية "سيّدات القمر" للأديبة العُمانية جُوخَة الحَارِثي

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة / جامعة عنّابة _____80

مصطلح السيميائية في الثقافة العربية الإسلامية

أ.د نصيرة شافع بلعيد / جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان _____102

الأسس اللسانية للسيميائيات

أ. أسماء بن مالك / جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان _____110

سيميائية المكان في رواية تلك المحبة للروائي الحبيب السائح

د. رمضان مسعودي / جامعة أحمد دراية بأدرار_____118

المصطلح السيميائي في ظل الممارسة النقدية العربية المعاصرة

بلعباس عبد القادر / وحدة البحث لسانيات – جامعة تلمسان_____134

الدِّراسَات الشّعْبِيّة

الرؤية السردية في القصّة الشعبية الجزائرية - قراءة في قصة "عمّار الغبي"

د. عبد الرزاق علاّ / المركز الجامعي بعين تموشنت_____142

الرؤية السردية بتعبير تودوروف في القصص الشعبية الجزائرية - "بقرة ليتامى أنموذجاً

الطالبة الدكتورالية: أسماء بن طيب / المركز الجامعي مغنية

الأستاذ المشرف: أ. د. سيدي محمّد بن مالك / المركز الجامعي مغنية_____151

سيميائية المكان في رواية تلك المحبة للروائي الحبيب السائح

د. رمضان مسعودي
جامعة أحمد دراية أدرار
Saadradi14@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019-01-12	2019-05-31	2019-06-27

ملخص البحث

الرِّواية فنٌّ من فنون الأدب تمتاز بالسّرد الطويل للأحداث، وهي ليست سَرْدٌ للإحداث فحسب؛ بل تكْشِف النّقاب عن تواريخَ وأماكِن لم يُكْشف عنها، كما تُقدّم وصْفاً لأمَاكِن بعيدة، يطير المبدع بمخيال القارئ إليها لينغمس متفاعلاً مع شخُوصِها في المكان والزمان.

من الرِّوايات التي تشدُّ المتلقي بأسلوبها وارتفاع لغتها؛ رواية (تلك المحبَّة) للحبيب السائح، إنَّها وقائعُ من الحياة بمدنية أدرار. المكان الذي جعل منه الرِّوائي فضاءً لتلاقي الدّيانات الثلاث، الإسلام والمسيحية واليهودية، فكان التَّفاعل بين المتناقضات: المحبة والكره، السَّيد والعبد، التَّسامح والحقد، العفَّة والجنس...

تعدَّدت الحيِّزات المكانية في رواية تلك المحبة، حيث جَرَت أغلبُ الأحداث في قرىً ومدنٍ بأدرار، ولمَّا كانت هي موطِن الأحداث والصّراع، فقد شدَّنا من عناصر الرِّواية المكان؛ فتناولناه من جانبه السِّيميائي.

الكلمات المفتاحية: الرواية؛ المكان؛ السيمياء؛ أدرار

Résumé

Le roman est un art de la littérature, caractérisé par un long récit d'événements, qui révèle non seulement des dates et des lieux non divulgués, mais également des descriptions de lieux lointains. Le romancier attire l'attention du lecteur qui par son imagination interagir avec ses personnages dans le temps et l'espace.

Parmis ces romans qui attirent le lecteur dans son style et son langage élevé le roman (cet amour) de Habib sayeh, c'est une réalité de la vie dans la ville d'Adrar. Le lieu où le romancier a ménagé un espace pour rencontrer les trois religions, l'islam, le christianisme et le judaïsme, a été l'interaction entre les contradictions : amour et haine, maître et esclave, tolérance et haine.

Il y a beaucoup d'espaces spatiaux dans le roman de (cet amour), où la plupart des événements ont eu lieu dans les villages et les villes d'Adrar, et puisque c'est le foyer des événements et des conflits, nous avons augmenté

Les éléments du lieu du roman.

Mots-clés : Roman ; Lieu ; Sémiotique ; Adrar.

توطئة:

يُعَدُّ الأدب أحدَ أشكال التّعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وخواطره وأفكاره، باعتماد أَرْقى الأساليب الكتابية المتفرِّعة إلى أدب شعري وأدب نثري.

ولمَّا كانت الرِّواية من أبرز الفنون الأدبية النَّثْرية و« أ همِّ شكل ضمن أشكال القصّ الحديث، أوهي الشَّكل الذي به ومن خلاله تطوَّرت أساليب القص تطوراً حديثاً، باستيعابها الحياةَ الحديثة، ومواكبتها لمتغيِّرات العصر»[1]، فإنَّه يكون من الجدير أنْ نتناول رواية من الروايات التي أُفْتُتِن صاحبها بإدرار، ومَا حَوَتْ من المدن و القرى، فكتَبَ منها ولها بعضاً من إبداعاته، وفي مقدمتها **تلك المحبة**، إلى هذه الأم التي لم تلده، فاحتضَنَتْه يوم قذف به الأحباب و الإخوان إليها؛ بل رمى به إليها قدَرُه، فقال « ضُمِّنِي إلى صدرك الزَّاخِر بأحلام القمر، إنّي أتُوق إلى البحرِ، وقلبي بشَفَتَيك المعسَّلتين برحيق الفَجْر»[2].

ساح بنا السّائح في أدرار العَميقة؛ لِيُطْلعنا على أفراحها وأقراحها، وعاداتها وتقاليدها، موظفاً في رسالته لغةً صوفية لا يقوى على فهمها القارئ المتعجِّل، إذْ يفتَتِح الفصلَ الأول منها موحياً من البدْء بلُغَة الرِّواية قائلاً: «استغفر الحقَّ وأرتجي الشّفاعة من حبيبه، وابتغى مرضاة الأقطاب والأولياء والأئمة والأوتاد، والحكماء والصالحين والصوفية، و الزّهَّاد ورجال الرّمل و الماء، والفقراء والأعماد، والأحباب والقرَّاء من الأولاد والأحفاد، فإنَّما أنا للخالق مُذْعِن، وَإلى الخلْقِ مُرْكِن، وبمرضاة الوالدين الشَّريفين تمتَدُّ لي بساطاً من العَوْن أخضر مُمْعِن، وباللغة مُلْسِن، وبالأسماء ممكِن، وللمطامع مُمْهِن»[3]، وقد صرَّح الكاتِبُ أنْ لا مفرَّ للرّوائي من اللغة الصّوفية، فيقول: « إنَّ عين الرِّوائي وحدها

تخترقُ الواقع العياني إلى ما بعده، مَجْهُولَهُ ومحْجُوبَه ...فمفهوما المجهول والمحجوب، يؤكدان زَعْمِي أنَّ الرِّوائيَّ نموذجٌ آخرُ من سُلالة الصُّوفيين: أعتَبِرُ كلَّ نصٍّ لمحةً من كشْفِ ذلك المحجوب، وما المحجوب إنْ لم يكُنِ الحقيقة ؟! ولكن مَنِ المحجوبُ عن الحقيقة الكلّية إنْ لم يكُنِ الإنسان الذي يطغيه الرَّفاه وينخَرُه الطَّمع؟!»[4]، كلُّ عنصر من عناصِر هذه الرِّواية جديرٌ بأنْ يُقْرأَ قراءة خاصة، لِاسْتِخْلاص ما فيها من جَمَالِ اللّغة، وجماليات الإيحاء والانزياحات.

لمّا قَصَرنا التناول على سيميائية المكان في الرواية، فإنَّه يكون من اللائق التَّعريف بمصطلحات عنوان هذه الورقة في المستهلِّ.

ماهية السيمياء:

لغة: جاء في معجم لسان العرب أنَّ «السُّومه والسِّيمة والسِّيماء والسِّيمياء، العلامة ... في الحديث: إنَّ لِلَّه فرساناً من السَّماء مُسوَّمين أيْ معلَّمين... والسِّيمـا ياؤها في الأصل واوٌ، وهي العلامة؛ يُعْرَف بها الخير والشَّر، قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُم﴾ ... قال الرَّاجز: **غلامٌ رَمَاهُ الله بالحُسْنِ يافعاً له سِيْمَاء لا تَشُقُّ عَلَى البَصَر**»[5].

كما ورد في أساس البلاغة: «هو مَوْسُوم بالخير والشَّر ومتَّسِم به، ومنه مواسِمُ الحجِّ، ومواسِمُ العرب: لأنَّها معالمُ كانوا يجتمعون فيها... وامرأتُه ذاتُ ميْسَم، عليها أثرُ الجَمَال»[6].

من خلال ما ورد في التَّعريفين، فإنَّ السِّيما أو السِّيمياء في المعاجم العربية، تدلُّ على العَلامة أو الأثرِ الدَّال.

اصطلاحاً: للسّيميائية تعريفات متعدِّدة عند المختصين، نذكُرُ منها تعريف سوسير «هي دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية»[7]، أيْ من أدوارها تجْليةُ فهْمِ الوجود البشري بِبُعديه الفردي والاجتماعي. ومن تعريفاتها أنَّها «تساؤلات حول المعْنى، فهي تُعْنى بدراسة السّلوك الإنساني، باعتباره حالة ثقافية منتِجَة للمعاني، ففي قصديةٍ ــ صريحة أو ضمنية ــ لا يُمْكن لهذا السلوك أنْ يكون دالّا، أيْ مُدْرَكاً باعتباره يحيلُ إلى مَعْنَىً»[8]، يُظْهِر التَّعريفُ أنَّ السّيمائيات تقوم بدراسَة سُلوك الإنسان باعتباره يُنْتِج المعنى؛ لكن إذا غابت القصْدية، فلا يمْكِن لهذا السّلوك أنْ يحيلَ إلى معنىً.

ماهية المكان:

وإنْ كان تعريف المكان من باب تحصيل الحاصل، إلَّا أنَّنا نبتغي تعريفه للخروج بدلالة تركيب الجملة (سيميائية المكان) وعليه «فالمكَان والمكَانة واحد ... مَكَانٌ في أصلِ تقدير الفعْلِ مَفْعَل؛

لأنَّه موضع لكينونة الشّيء فيه ... والمكان: الموضعُ، والجمع أمْكِنة ... وأماكِنُ جمع الجمع»[9]، فالمكان إذاً هو «اسم مشتق يدل على ذاته، أيْ ينطوي معناه على إشارة دلالية ممتلئة، تحيل إلى شيء محجَّـــم ماثل ومحدد له أبعاد ومواصفات، ولفظة المكان مصدر لفعل الكينونة، وهي الخَلْقُ الموجود والماثل للعيان يمكن تحسُّسه وتلمُّسه»[10]. وللإشارة، فإنَّ من الأدباء من يستعمل للمعنى ذاته مصطلح الفضاء المكاني، أو الحيز المكاني، بينما يرى عبد المالك مرتاض بأنَّ مصطلح الفضاء «قاصر بالقياس إلى الحيز، ذلك لأنَّ الفضاء يكون معناه ـــ بالضرورة ـــ جارياً في الخواء والفراغ، بينما الحيِّز لدينا ينصَرِف استعماله إلى النُّتُوء والوَزْن والثقل والحجم والشَّكل، في حين نريد أنْ نقِفَ المكان في العمل الرِّوائي؛ على مفهوم الحيز الجغرافي وحدة»[11]. والمكان للمبدع يعتبر عنصراً أساسياً، حيث يُعَدُّ «نكهة فاصلة تولِّد في الأديب إحساساً متميزاً يجعله يَنْتَشِي، ويتصهَّد وجدانياً كلَّما لامس شعورُه جانباً من ذلك الحيز المكاني الغائر في أعماق ذاكرته»[12]، وهذا مما نتلمَّسُه في رواية **تلك المحبة**، وما نسمعُه من أصواتِ شُخُوصِها الذين يخوضُونَ غِمَار أحداثها بِمَا فيهم الكاتب.

سيميائية المكان:

من تركيب اللفظتين ينتُجُ مفهوم العلامة المكانية، أو الحير المكاني، وتبدو العلاماتُ المكانية في رواية **تلك المحبة** دوالَّ مرتبطة بمدلولاتها المرجعية التي تفرضها سيمياء الثقافة في ثلاثيتها المعروفة (دال، مدلول، مرجع)، فجُلُّ تلك العلامات المكانية مستمرٌّ على حاله المرجعي المتَّفِق مع الصورة الذهنية للمتلقي المدْرِكِ لكنْهِ تلك الحيِّزات المكانية التي تضمَّنها السَّرْد الروائي.

توظيف الحيِّز المكاني في الرّواية: وظف الكاتب في الرواية العديد من الأماكن، أبرَزُها المدن والقرى، غير أنَّنا قصَرْنا التَّناول على المكان الواسِع العام، لا الضيق، أيْ كان تركيزُنا على المدُن والقُرى التي تَحَرَّك فيها شخوص الرِّواية، ودَارَ فيها الصّراع.

والمبْدِع الحبيب السَّائح ذاته شغوف بإعطاء المكانِ درجةً أرفعَ وأهمَّ من بين عناصر الرِّواية، ويُبرّرُ ذلك، بأنَّ «الكتابة هي المكان وليس الفضاء، أيْ أنَّ النص يتشكّل لغة وصوراً ومشاهد من المكان الذي يحيل إليه الحدَثُ الذي يشتغل عليه الروائي، والحدَثُ نفسه ينمو في

المكان»[13]. لا جَرَمَ أنَّ هذا الاهتمام الذي حُظِي به المكان في السَّرد الرّوائي يعود لحُضُوره البارز في كلِّ جوانب الحياة، وكذا لأهميته العظيمة في حياة البشرية «فما من قَرِين للتَّرجمة البشرية مثلَهُ، فهو عمادُها ومصطَلَحُها، وهو مغذّيها ومنطلَقُها ومصبُّها»[14]، فالمكان ــ اذاً ــ هو مأوىً متمثلٌ في المسكن، والبستان والمقهى، والمدرسة والإدارة والمسجد ... وفي المكَان تتولَّد أماكِنُ فرعية أخْرى.

من وهج المكان ودلالته، نقتطف علامات مكانية من رواية تلك المحبَّة نسْتظهِرُها في **العناصر الآتية:**

- ✓لشدة تعلُّق السائح بأدرار، فإنَّه يُنْزِلُها على عرشٍ في روايته، إذْ يقول: «... وبخطوة بين **(الهقار)** وبين **(أدرار)**[15]، كان للسيدة عرشاً من تلك المحبة. كادَ يهوي بضربةٍ من يد غدَّار أباً عن جدٍّ، ورِث الحقد على الأخيار»[16].

بَيْن (ألف راء) الهقار، و(ألف راء) أدرار ــ وهما مدنيتان في عمْقِ الجنوب الصَّحراوي ــ يُبْدِي الكاتب مدى محبَّته للصحراء بما فيها وما عليها، فالصحراء ــ ومنها أدرار بالأخص ــ علَّمته كيف يقابل القسوة بالصَّبر، وجفاء الخلَّان بمصاحبة القلَم ومعاشَرة الكتب والكتابة، كيف لا، وهي التي يقول عنها: «في **(أدرار)** عرفت الله وثَمَّة اكتشفْتُ ذاتي؛ فأعدْتُ سؤالي عن كنهي، فوجَدْتُني بهذا الجواب: إنسانٌ عارٍ من كلِّ أسمَالِ الغرور، فقيرٌ إلى المعرفة، فرُحْت أقرأُ بلا لغة، فانكَبَبْتُ على النَّحت»[17]، وبعد النَّحت كانت منه إليها تلك المحبة، ومازالت.

- ✓في ائتلافٍ بين شظف العيش، وتحدّي الرجال لقسوة الطّبيعة يقول: «رسموا بِعَرَقِهم أثراً **(لأدرار)** في جسد الرِّمال، وكَتَبوا بدمِهِم في مائها وصيَّةً للرطوبة والاخضرار»[18]، حيث على أنقاص أجسادهم الرَّاحلة في جوف الفقارات، تحت الرَّدم، تدفَّقت الأرض ماء فاخضرَّت، ثم زرعت الحياة في القفار الموحشة.
- ✓ يجمع الكاتب بين أقاليم أدرار الثلاثة في نسيج العبارات الآتية: «يجري ماءُ الحياة في فقارات **(توات)** الهادئة، أو يسري صمت السِّر في **(قورارة)** الهائمة، أو تعوي الريح في **(تديكلت)** القاهرة»[19]، ثلاث صفات: **الهادئة، الهائمة، القاهرة،** تختلف من حيث دلالتها؛ لكن صوت الهاء يجمع بينها جميعاً، لتكوِّن سماتٍ تمييزية واحدة وهي: **الهمس والرَّخاوة والاستفال والانفتاح،** وهذه

الصّفات الأربعُ ضعيفة، غير أنَّ في الضَّعف تَسْكن القوة، أفَلَا يُشْتَم من السَّيف الصِّفات الأربع ذاتها؟ لكن إذا جدَّ الجدُّ، تحوَّلت الرَّخاوة والهمس إلى شدَّة وجهر، فبَيْن الهمْس والجهْر تبايُنٌ «فالأصوات المجهورة تصلح للإنشاد، أمَّا الأصوات المهموسة فالتَّعامل معها يتمُّ عن طريق القراءة، إلَّا أنَّ هذا لا يقلِّل من مكانة الهمْسِ إيقاعياً ودلالياً»[20]، كما هو الشأن في أقاليم أدرار الثلاثة.

- ✓ يتقمَّص الكاتبُ صورة حازي **(تمنطيط)**، فيتغَزَّل بهذه الأرض **(أدرار)** مُبْدياً تعلُّقه بها، واحترامه الشَّديد لها، فيقول: «وكان حازي **(تمنطيط)** بما تماهَى عليه، لما قابلَهَا ـــ بعد أن نزل عن ناقته، فقبَّل قَدَمها العارية، وتمسَّح بها ـــ قال لها: أنت الأثر الذي حيَّرني في كل مقام زرْتُه من مقامات الأولين من **(عين صالح)** إلى **(إقَبْلي)**، ومن **(إينْغَرْ)** إلى **(إغْزَرْ)**، ومن **(قصْر الشَّرفا)** إلى **(أقْبُور)** ومن **(الهَبْلَة)** إلى **(طَلْمينْ)** ومنها إلى **(مَاسِينْ)**، فإلى **(تَبَلْكُوزَة)**، إلى الشتات»[21]، لقد أبهرت أدرار الكاتب، وأبرَزَ من مفاتِنِها ما يشدُّهُ إليها، فلَم يلبَثْ إلَّا أنْ قبَّلَها احتراماً و إجلالاً، بعد أنْ مسَحَهَا بعينيها من الرأس إلى القدمين (من قورارة إلى توات إلى تديكلت) مسْتَجْلياً وقَارَها، نخْلَةٌ واقفةٌ من نورٍ، تشعُّ منها ألوان قزحية.
- ✓ في إشارة إلى الأبوابِ المداخلِ التي تحْرس مدنية أدرار، وهي رموز بها منذ القديم، بالسَّاحة المركزية (ساحة الشهداء)، يقول: «كما قال حازي تمنطيط: باب **(رقان)** معْبر عنْصُر الطِّين والحديد، وباب **(بوبرنوس)** مدخل عنصر النحاس، وباب **(تيميمون)** الذي انفتح لعنصر الذهب والفضة، وباب **(بشار)** لليُتْم والتروُّح ... وأمَّا اليهود فإنَّ سرّهُم انْطَوَى في حجرة منقُوشَة نُسِيَتْ في تمنطيط»[22]، يُوحِي بِذكْرِه لهذه الأبواب (أقواس ساحة الشهداء) إلى أجناس البَشَر بمختلف أعراقهم و أنْسَابهم، قد دخلوا أدرار، والْتَقَوا في رِحَابها الواسعة، تجمَعُ بينهم المحبَّة، وتقديرُ ذوي الاحترامِ و الإجلال، و«كلٌّ من آدم للحَقِّ يَصِيرون أجمعين »[23].
- ✓ السائح يُبْدي إعجابه بشموخ النَّخلة وارتفاعها في قُرى ومدنِ أدرار قائلاً: «يا نخلةً ضامنةً متْقلةً بالنّعمة ...فلِقَلْبك خُضْرته ولشَعْرِك لون ثَمْره، ولوجْنَتَيْك أَلَقُ شمْسِ الصُّبح على رَمْله، ولريْقِك مذاق رحيقِهِ، ولأنفاسك رائحةُ ياسمينٍ في بستانه، ولشفَتَيْك عُكْرَة حنَّاء **(تامست)** في جنانه»[24].

وكأن الكاتب يُبْدي مَدَى تحدِّي النَّخلة لقسوة الطَّبيعة عليها، فتترجم ذاك الصَّبر والتَّحدي بما تعطي من ثمر أحْمَر حمرة أدرار، مبدِيَةً لكل عاشقِ جمَالٍ، التزيُّن بحنَّاء **(تامست)**، وكلِّ أحمرَ جميلٍ في هذه المدينة العميقة.

لقد نظر الكاتب إلى اللَّون الأحمرِ نظرةَ المتفائل، فتوسَّم في تدفُّقه البارِزِ على قرى ومدن أدرار كل خير، لأنَّ «اللون الأحمر كان منذ نشوءِ الخليقَة عنواناً ـــ خاصة في حضارة الشرق ـــ للصَّبّ والنّماء والتَّجدُّد، لأنَّه مَعْنِيٌّ بالنّضج والتكامل، فمنذ الولادة يتدفَّق الدَّم مرافقاً لنشوء الجنين، ويُضِيفُ إلى الفتاة ـــ التي تستقْبِل الحياة ـــ الأنوثة بتساقط قطراتٍ منه، دلالة على اكتمال الأنوثة المنْتِجَة .... من هذا وغيره، اتُّخِذَ عبر التاريخ رمْزاً للإخصاب»[25]. لاشكَّ أنَّ القراءة السيميائية تختلف باختلاف زوايا النَّظر، لذلك فَدَلالة الألوان للمكان وغيره، تختلف من شخص إلى آخر، وخاصة اللون الأحمر «لماذا اللون الأحمر؟ ذلك لما يمثِّلُه هذا اللَّون من حيوية ونشاطٍ، وما يدلُّ عليه نفسياً وحسياً من عاطفة ورومانسية بوضوح كبير، فهذا اللَّونُ أشدُّ الألوان وضوحاً، وكثيراً ما تحبُّه النِّساء، فهو فائضٌ بالعواطف والمشاعر: فلونُ الورد المحبِّب ـــ عادة ـــ يكون أحمر، والقلب ـــ عادة ـــ يُرْسَم باللون الأحمر»[26]، إنَّه للمتفائلين يَعْنِي المحبَّة، ولأدرار تلك المحبَّة.

✓ وفي تنقلات السَّائح على أرض الألوان والأنساب والأعراق، يجدُ في بعض ما لايُطَاقُ جميلَ ما يَشْتَاقُ، فيخاطبها قائلا: «ولمن يراكِ فَيَشْتَهِيك حرقةً في حَشَاه، كلَظَى ليلِ **(تيمياوين)**، ووحشَةِ حمادة **(تنزروفت)**، ولفُرْقتِكِ إنْ وُلِهَ بِكِ، نارُ المنتظرين ليلاً في تَوهِ الفلَوَات، أنْ تظهَرَ لهم نجمةُ القطب»[27]، لا يَجِدُ الكاتب في لَظَى الصَّحراء وسُكُونها وشَسَاعة أرْضِها القاحلة، أيَّةَ مخافة، فهو إمَّا لحياةٍ متجدِّدةٍ بجَمَالها أو قُبْحِها، وإمَّا للحياةِ الآخرة بحرِّها أو برْدِها، وكِلا الحياتين واقعٌ بالفِعْل.

لا يكشف مجاهيل الصَّحراء إلَّا من حَمَل نفسه على تقبُّل معاناتها والصَّبر على مآلاتها، ولذلك نجِدُ في الغالب «من يعيشُون على السَّاحل قد لا يقدرون جَمَال الصَّحراء وهدوئها، وكذا مخافتها ... لِذَا من المفيد أنْ يسافر الإنسان ليتعرض لنوعٍ مختلِفٍ من الجَمَال غير الذي اعتادَهُ، فاجعل التَّغيير سمَةً من سمَاتِ حياتِكَ كي تَرَى جمالاً غير مألوف»[28].

✓ يشير المبدِعُ إلى أثر اليهود في قرى ومدن أدرار، حيث عاشوا بين أهل المنطقة لا يجدُون منْهُم صَدَّاً ولا جفاءً، فيقول: «وفي **(تمنطيط)** التي حلَّ بها (هنّو) وأحفاده، فيما نزل (موشي) وقليل من أتباعه في **(تماسخت)** وقيل **(تخفيف)**. حين تعْبر من أدرار إلى رقان تلقاه يميناً، لكن العارفين بالأغوار والغوابر يقولون: أنظر وأنت في أوْبَتِكَ نحو أدرار من **(تينولاف)** تلْفَ يمينك حُطاماً قرب **(تخفيف)** على هضبة، عمَّرَهُ يَهُودِيّ»[29]، ليس هذا فحسب، بل مارسوا عاداتهم وطقوسهم دون حرج، ومن تلك العادات ما أخذَهُ عنهم الطوارق، ويمارسونه إلى اليوم، وهو «تقديم أحَد الزَّوجين أثناء حفل الزفَّاف للآخر نعلاً Sandale تقليدياً في أجواء من الرَّمزية والسّريالية والقداسة، وهي عادة مأخوذة منذ القديم عن يهود الصّحراء، تكون قد انتقلَتْ إلى الهقار عبر القوافل التجارية سواءً بواسطة يهود مدينة **(توات)**[30] قرب أدرار، أو يهود **(القرارة)**، أو بواسطة التوارق أنفسهم»[31]. وعندما بَدَى خُبْثهم وَنِفاقهم،كَان طرْدُهم بزعامة التِّلمساني (الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي).

إنّ البناءات التي أقاموها، ومازالَت أطلالها، تَشِي بقَبُولهم بين سَاكِنَة المنطقة، وإلَّا فما كان أنْ نجدَلهم أثراً على وجودهم.

✓يسترسل الكاتب في حديثه عن اليهود، ومَا كَان من تصرُّفهم الأهوج بعْدَ أنْ كشفهم الشَّيخ المغيلي: «فوقع منهُ [جدُّهم أو قائدهم المحرّض] عليهم من القتل، ومنهم عليه في الثأر، هنا في **(تمنطيط)** وفي **(اسْبَع)** وفي **(اغْزَرْ)**، بسبب ما فعله الكبراء والمرابون منهم»[32]، إذِ اُشْتُهِروا أكثر بالمعاملات الربوية في تجارتهم، يؤكِدّ ذَلك ما ذهَبَ إليه الفيلسوف إيمانويل كانط، حيث «يصِفُ اليهود بأنهم مُرَابُون ونصَّابُون وغشَّاشون»[33]وبسبب الخبث الذي اتَّصفوا به ذَهَب فوليتر إلى أقصى التَّطَرُّف العنصري ضدَّهم قائلاً: «كيف يمكِنُ أنْ بوجَدَ شعبٌ حقير كهذا الشَّعب على وجْه الأرض»[34]، وهذا من الدَّلائل على أنَّ الشعب اليهودي يكادُ يكون منبوذاً ليس من العرب والمسلمين فحسب؛ بل من جلَّ شعوب المعمورة.

✓يذكر السَّائح ما تزخَرُ به قريتي **(ملوكة)** و**(كوسام)** من كتب ثمينة في مجالات العلوم المختلفة، إذْ يقول: «ها هم أولئك ثرياتٌ يمشون بين الأرض وبين السماء هوْنَاً، قادمين عبر الباب الرَّابع، من قصري **(ملوكة وكوسام)** حيث خزائنُ من العلم. اسأليني عنها، أَ هِي على الحال والمثال،

أم أنَّ الخَلَفَ فرَّط فيها وشطَطَ؟»[35]. دلالةُ المكان في هذا القول: تُفْضِي إلى إبْرَاز ما يجدُه البَحَثَة بين رُفُوف خزائن البلْدَتين من مخطوطات تراثية إبداعية، يعملُون على نفض الغبار عنها لِبعْثِ إشعاعها من جديد. ولذلك وجب الاهتمام بها «فالوثائق والمخطوطات تُعْتَبَر المصادر الأولية، وأداة هامة للحصول على معلومات في غاية الأهمية والمتعلقة بتلك الحالة المدروسة»[36].

✓لارَيْب أنَّ حضور النسوة من قرىً ومدنٍ بعيدة لمواسَاةِ امرأة انقضَتْ عدتها من وفاة زوجها الأول، فيه دلالة على الوئام والتكاتف. يقول الكاتب عن ذلك: (كان اليوم الذي أعْقَبَ آخر ليلة من عدَّةِ نجمة، مراعاةً لوفاة زوجها الأول، من أعظم ما شهدته توات فلَمْ تبْقَ صديقة ولا قريبة أو حبيبة من **(سالي)** إلى **(تسابيت)**لم تحضره»[37] ، وما بين البلدتين المذكورتين بلدات متعددات، وذلك يقتضي حضور جمعٍ غفير من النِّسوة لا يُعَدُّ. إنها قمَّة التواصل الاجتماعي بين المدن والقرى في ولاية أدرار، وما كان من الحضور في انتهاء عدة الوفاة؛ كان كذلك في عُرْس الباتول من التارقي: «وقد حضر عرسها في أحد قصور **(تسابيت)**، ما بين **(الهبلة)** و**(برينكان)** خلق كبير ممن يُشَاهدون... وممن لا يُشَاهدون بالعين، كانوا هم الذين رتَّبوا االمراسيم بأمر أثيري»[38] يتجلَّى من كثرة الحاضرين في المناسبتين مدى التَّضامن والتآزر.

✓يشير الكاتب إلي ميل سكان أدرار العميقة لاستعمال السِّحر والشعوذة لتحقيق بعض مآرب يبتغونها، فيقول: «وفي الحاشية ذَكَرَ: جاء اليوم من أخبرني أنَّ شيخ **(شروين)** ردَّ كثيراً من الطامعين فيها على أعقابهم، فلم ينالوا منه حرزاً ولا طلسماً»[39]. رغم ما يتَّصف به سَاكنة الصَّحراء عامة، والأدراريون خاصة، من الجَلَدِ والكرم والتَّدين إلَّا أنَّ هذا السّلوك (السّحر والشَّعوذة)، ما يزال مسيطراً عليهم، فالسُّلوكان يعرفان بأنَّ «الشعوذة عملُ شيء فيه مناقضةٌ لنواميس الطَّبيعة، وخروجٌ على قيودها، والمراد منها في الغالب، إخراج الباطل في صُورَة الحق...، والسِّحر هو ما يُسْتَعَان في تحصيلِهِ بالتِّقرب إلى الشَّيطان مما لا يستقلّ به الإنسان. على أنَّ العلم يُنْكِر السِّحر لأنَّه يقوم على مخالَفَة نواميس الكون»[40].

✓يُشِير السَّائح إلى انفتاح أبناء **توات وقورارة وتديكلت** على الآخرين، فهم لا يعرفون التَّقَوقُع، وإنما يتواصَلُون مع أحبَّائهم في كل مكان ويقطعون القِفَار من أجلهم، فها هو ذا بلِيلُّو أحدُ شخوص

الرواية، من أجل اللحاق محُبوبَتِه ماريا يقْطَعُ «مسافةً طَوَاها في أثَرِها من **توات** إلى **(المنيعة)** إلى **(غرداية)** فالأغواط، حيث دقَّ باب التي قالَتْ لَهُ عنها بنْت كَلُّو»[41]، إنَّها المجازفة، فإمَّا حياة أو موت، للظَّفَر بمن ملأَ القَلْب واستوى على العقل والتَّفكير.

✓لم ينْتَفِضِ الأدراريون على الكَنيسة، رغم خُرُوج حكَّام القائمين عليها، واسترجاع الحُرية، فقد بقيت نشِطَةً على حياء في تيمي القديمة **(أدرار المركزية)**، لم يغفل السَّائح هذه السِّيمة في سرده الرِّوائي، حيث ورد «لم تستطع صلوات الأب جبريل أنْ تُنْزِل عليه ماءً مقدساً لإخمادِه، إذْ طفِقَ يزوره في كنيسة **(تيمي القديمة)** خلال تلك الأيام التي تاه عن صوابه، و اعترف بما أصابه»[42]، ليس هذا فحسب، بل تعلَّق بامرأة من المدينة اسمها مبروكة، كنت شغوفةً بقراءة الكتب المختلفة، كما تعلَّقَت به هي أيضاً للَبَاقتِه ووسامته، وفي هذا تقبُّل و انفتاحٌ على الآخر، فالمحبة تعْزِفُ عن الحَرَنِ في المكَانِ أو الزمان.

✓رغم شساعة أدرار، وامتداد قُرَاها ومُدُنها، إلَّا أنَّ ساكنتها لا يتأخرون في الاتحاد لمجابهة الأعداء، وصَدِّ الأشدَّاء، يجري ذلك في القول: «لكن كبير منطقة **(بودة)** شَقَّ العصيان وقال: نار مَدَافِعِهم أخفُّ جدَّاً من نارِ الله علينا إنْ وَاليْنَاهُم، ثم جَمَعَ من **(أولاد سعيد)** ومن **(تاسفاوت)** أربعمائةٍ رابَطَ بهم سِنِين قبل أنْ يُغْلَب»[43]، والمرَابَطَةُ سنين فيه دلالة على التَّكيف مع شَظَفِ العيش سِنِين بسبَبِ الغَزْو والسَّلْب والنَّهب وقَسْوة الحياة. لذلك الحياة في الصحراء تَقْتَضِي التَّعايش والاندماج لتتَحَقَّق السّعادة في الانصهار وقَبُول المكان.

✓تمتَزِج حرارة المكان بحرارة المحبَّة، في قلوب سَاكنة أدرار، فتَمْنَح لكل من يتوجَّس خيفَةً من هذه الأرض، الاطمئنان والسَّكينة، ما ورد في الرواية يترجِم هذا التوجُّه: «قرأَتِ العُنْوانِ: مثلَثُ النَّارِ! نظَرَتْ إليه باسْتِغْرابَ، فابتسَمَ يُجيبُها: **أدرار، عين صالح، وتيمياوين**. وأضاف، بينما راحَتْ تَقْرَأ الأسْطُر الأولى: فكرة الموضوع أنَّ هذه الصَّحراء على قدْرِ قساوتها لا تزَالُ تمنَحُ الأمان وتعطي الاطمئنان، وتقبل التَّعَايش، ثلاثةُ أبعادٍ لا توجدُ في مكانٍ آخرَ غيرُهَا»[44]، وكأنَّ هذه الأبعاد الثَّلاثة: **الأمان والاطمئنان والتعايش**، نتيجةٌ موازيةٌ للأديان التي تشكَّلت وقامت على هذه الأرض بقدرٍ من الاحترام، **الإسلام والمسيحية واليهودية**، وآلَتْ في نهايةِ الأمْرِ إلى رُسُوخ الديانة

الإسلامية وحْدها.

✓ لم ينسَ السائح ــ في نهاية الرِّواية ــ مكان الجريمة البشعة في رقان، حيث رخُصَت عند المستدمر الفرنسي النَّفس الإنسانية؛ فجعل منها حقل تجاربه النَّتِنَة، نَتَانة فكره وأخلاقه، حيث يفضح جرائمه، فيقول: «حسب الخريطة التي كانت أمامي، فإنَّ المنطقة المعنية للتجربة النَّووية لا أثر فيها لتجمُّعات الأهالي، فهي امتدادٌ من **(تنزروفت)**[45]، حيث لا شيء غير العَطَش والمتاهة والخوف والموت المكشِّر»[46]. لقد أوْهَم المستدمرون العالم بأنَّ مكان التجربة لا حياة فيه، لأنَّهم كانُوا عازمين على إفْنَاء ساكنة المنطقة، فهم بالنِّسبة لهم أحْقَرُ من الحشرات، وبالتالي رحيلهُم إلى الأبد لا يعني شيئاً، ولعل ما يؤكد سَبْق إصرارهم على سحْقِ الأهالي بالمنطقة، هو قوة التفجيرات متمثِّلةً في «أربعة قنابل ذرية، فُجِّرت على سطح الأرض في منطقة رقان. تتراوح طاقتها التَّفجيرية بين عشرة وسبعين كيلوطن ... سمِّيت الأولى باليربوع الأزرق، طاقتها تعادِلُ ثلاثة أضعاف قنْبُلة هيروشميا»[47] وللمرءِ أنْ يتصور الأثر الذي تخلِّفه هذه الطَّاقات التفجيرية على الحجر والبشر.

من جماليات هذه الرِّاوية حبكتها السَّردية التي جمعت بين الأدب والتاريخ والسِّياسة، وقد أُعْجب بها جملةٌ من النقاد يقول أحدهم: «إنَّ رواية تلك المحبة، رواية تُعْنَى بأدقِّ التفاصيل، وتتجاوز ذلك إلى أنَّها ـ وهي تُعْنَى بالتَّفجير النَّووي في رقان ـ رسمت قيمة جمالية لهَوْل هذا التفجير، فاعتنت بالآثار المدمرة للإنسان وللطبيعة»[48].

لقد كانت تلك المحبة نابعةً من قلبٍ صادقٍ مفعمٍ برهافة الحسِّ.

<u>التجريد في رواية تلك المحبة</u>:

لقد تجشَّمْتُ تَناول رواية **تلك المحبة** مقتصراً على سيمياء المكان، وكانت قراءتي لها من منظوري الخاص؛ إذْ أعتَبِرُ روايات الحبيب السائح كاللوحة التَّجريدية، تختلف فيها القراءات حسب ثقافة ورؤية المتلقي، ذلك لأنَّ الفن التَّجريدي يعتمد في الأداء على أشكالٍ ونماذجَ مجردةٍ، تنْأى عن مشابهة المشخَّصات والمرئيات في صورتها الطبيعية والواقعية، أيْ تصبح مجرَّد قطع إيقاعيه مترابطة ليست لها دلالة بصرية مباشرة، إنما الدلالة يستخلِصُها المتلقي بإعْمَالِ فكره، وكذلك الشأن بالنِّسبة لروايات الحبيب السائح، وقد أكد هذا الروائي ذاتُه، حين قال: «الرِّواية عندي نصٌّ منتَهٍ، والنَّص المنْتَهي لغتهُ مفتوحة تتجدَّد بكل قراءة. أكتب نصي بحيث يُصْبح ـ فعلاً ـ مهرجاناً ساحراً من الاستعارات والانزياحات»[49]، ليس هذا فحسب؛ بل يضيف «والكتابة الرّوائية عندي درجة من درجات البلاغ

الصوفي»[50]، ولمَّا تمتزج المجازات والانزياحات بالبلاغة الصُّوفية، فإنَّ النص يزداد صَلابةً، فيحتاج إذْ ذَاك إلى من يُعْمل فكْره ليفتِّتُه بُغْيَة استخراج ما فيه من جواهِرَ أدبية إبداعية.

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثية إلى النتائج الآتية:

1. الرواية هي أحد الأجناس الأدبية تتصف بالسرد الطويل، لذلك فهي أجدر بنقل الأحداث المتنوعة من خلال الصراع القائم بين شخوصها.
2. المكان في الرواية أهم عنصر، تتمُّ فيه حركة الشخوص ويحتدِم الصراع ليخلُص إلى نتيجة يريدها الباث، أو يكتشفها المتلقي.
3. إنَّ لجوء الروائي لوصف المكان، يقصد من ورائه بثَّ المصداقية فيما يروي، بأنْ يجعل المكان مماثلاً في مظهره الخارجي للحقيقة.
4. المكان في النص الروائي يلْعَب دور المفجِّر لطاقات المبدع، بحيث يُسْهم في تحريك شُخوص الرِّواية بما يتلاءَم مع المكان والزمان، وبذلك فهو يعبِّرُ عن مقاصد المبدع.
5. المكان في النص الروائي يتجاوز كونُه مجرَّدَ شيءٍ صامتٍ، أو خلفية تقع عليها أحداث الرِّواية، فهو محور أساسي من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية، وحين تفتقده (الرواية) فإنَّها تفتقد أصالتها.
6. آثَرَ المشْتغلُون بعنصر المكان في الرِّوية استخدام مصطلح الحيز المكاني، أو الفضاء الرِّوائي، بدل لفظة الفضاء لتكُون الدَّلالة أوضح.
7. لأهمية المكان فإنَّ دراسات كثيرة عنيَتْ به في مختلف المجالات، بل وُجِد علمٌ خاصٌ بدراسة المكان هو علْمُ الطوبولوجيا الذي يهتمُّ بأخصِّ خصائص المكان.
8. المكان والزمان متلازمان دوماً، إلَّا أنَّ المكان ثابت والزمان متحرك، وهو بثُبُوتِه واحتوائه للأشياء الحسّية المستقرة فيه؛ يُدْرك بالحواس إدراكاً مباشراً.
9. الرِّواية تفسح مكاناً للتعايش بين الأنواع والأساليب، كما يتضمِّن المجتمع العشائر والطبقات المتعارضة.
10. الكتابة هي المكان الذي يُحيلُ إليه الحدث الذي يشتغل عليه الرِّوائي والحدث نفسه ينمو ويتطوَّر في المكان.
11. المكان الصَّحراوي، مكان يتَّسع للسرد الروائي، ويمتدُّ فيه الزمن ويتغير بتطور الصِّراع بين الشخوص.
12. بحسب قدرة الروائي على نسج صور غير مألوفة للأماكن، ومنح المكان الحقيقي والمكان المبتدع خصوصية الخَلْق الفني، تكونُ جودة العمل ويظهر تميُّزُه الفني.

13. المكان يبدو أكثر حيوية في الإبداع الروائي، ولنا أنْ نتصور قرىً ومدناً بوصفها حيزاً للحركة الرِّوائية، ما تلبَث أنْ تصبح بذاتها فاعلاً خلاقاً في العمل الروائي، يوجّه الأحداث، ويعمل في الشخصيات ويؤطرها، وهذا ما يبتدعُهُ المكان تَبَعاً لإبداع تشكيله.

إحالات البحث

[1] منصور قيسومة، اتجاهات الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط، 2013، ص07.

[2] الحبيب السائح، تلك المحبة، دار ريحانه للكتاب، القبة، الجزائر، ط1، 2007، ص306.

[3] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص07.

[4] كمال الرياحي، حوار مع الروائي الجزائري الحبيب السائح، يوم 2017/02/14،
موقع https://housefictionrk.wordpress.com اُقْتُبس يوم 2018/04/01 على الساعة 21.55.

[55] ابن منظور، لسان العرب، مادة (س. و.م)، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، مج7، ص 284.

[6] جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (و.س.م) تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1998، ج2، ص334.

[7] سعيدين كراد، السيمائيات، مناهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 2005، ص09.

[8] المرجع نفسه، ص 20.

[9] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مج7، ص 990.

[10] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2007، ص 169.

[11] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص141.

[12] باديس فوغالي، المكان والزمان في الشعر الجاهلي، ص 170.

[13] كمال الرياحي، حوار مع الروائي الجزائري الحبيب السائح،
موقع https://housefictionrk.wordpress.com

[14] زائد عبد الصمد، المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، كلية الآداب بجامعة منوبة، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003، ص07

[15] كل مكان دال على قرية أو مدنية ورد في الرواية، سأضعه بين قوسين، وبخط غامق.

[16] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص 09.

[17] كمال الرياحي، حوار مع الروائي الحبيب السائح، موقع https://housefictionrk.wordpress.com .

[18] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص 09.

[19] المراجع نفسه، ص11.

[20] محمد يونس صالح، فلسفة الإيقاع، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1 ،1437هـ ـ 2016 م، ص95.

[21] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص 11-12.

[22] المرجع نفسه، ص 17.

[23] المرجع نفسه، ص15.

[24] المرجع نفسه، ص 17.

[25] شكر حاجم الصالحي، الأسطورة ريح، وهو ثمر، النوارس للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2017، ص67.

[26] مجيد الكفائي، الخاتم الأحمر، شمس للنشر والإعلام، المقطم، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص09.

[27] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص18.

[28] شريف عرفة، كيف تصبح إنساناً، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط9، 2015، ص220.

[29] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص25.

[30] الأصَحُّ مدنية (تمنطيط) بتوات قرب أدرار.

[31] فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط2، 2004، ص42.

[32] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص 26.

[33] هاشم صالح، الانتفاضة العربية على ضوء فلسفة التاريخ، دار السَّاقي، بيروت، لبنان، ط1 ،2013، ص179.

[34] المرجع نفسه، ص180.

[35] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص49.

36 محمود عباس حمودة، الأرشيف ودوره في خدمات المعلومات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،2003، ص 199.

[37] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص53.

[38] المرجع نفسه، ص 90.

[39] المرجع نفسه، ص 103

[40] عبد الله حسين تاريخ ما قبل التاريخ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1 ،2014، ص117.

[41] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص 120.

[42] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص 124.

[43] المرجع نفسه، ص167.

[44] المرجع نفسه، ص189.

[45] تنزروفت (صحراء الصحاري) تقع في الجنوب الغربي للجزائر، بين مالي والجزائر، وتمتدُّ على مسافة أربعمائة كيلومتر، وهي منطقة قاحلة، لا تحتوي على أية آثار للحياة البشرية أو النباتية.

[46] الحبيب السائح، تلك المحبة، ص249.

[47] مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدَّمار بولاية أدرار، إبَّان الاحتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص216.

[48] محمد تحريشي، قراءات في الخطاب الروائي E-KUTUB **LTD** شركة بريطانية مسجلة في أنجلترا برقم 7513024 لندن، بريطانيا، ط1، 2017، ص152.

[49] كمال الرياحي، حوار مع الروائي الجزائري الحبيب السائح، موقع https://housefictionrk.wordpress.com .

[50] المرجع نفسه، موقع https://housefictionrk.wordpress.com .

المصادر والمراجع

1. ابن منظور، لسان العرب، مادة (س. و.م)، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العمية، بيروت، لبنان، ط1، مج7، 2005.
2. باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2007.
3. جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (و.س.م) تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ج2، 1998.
4. الحبيب السائح، تلك المحبة، دار ريحانه للكتاب، القبة، الجزائر، ط1، 2007.
5. زائد عبد الصمد، المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، كلية الآداب بجامعة منوبة، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003.
6. سعيدين كراد، السيمائيات، مناهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 2005.
7. شريف عرفة، كيف تصبح إنساناً، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط9، 2015.
8. شكر حاجم الصالحي، الأسطورة ريح، وهو ثمر، النوارس للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2017.

9. عبد الله حسين تاريخ ما قبل التاريخ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1 ،2014.
10. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
11. فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط2، 2004.
12. كمال الرياحي، حوار مع الروائي الجزائري الحبيب السائح، يوم 2017/02/14، موقع https://housefictionrk.wordpress.com أُقْتُبس يوم 2018/04/01 على الساعة 21.55.
13. محمد تحريشي، قراءات في الخطاب الروائي E-KUTUB **LTD** شركة بريطانية مسجلة في أنجلترا برقم 7513024 لندن، بريطانيا، ط1، 2017.
14. محمد يونس صالح، فلسفة الإيقاع، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1 ،1437هـ ـ 2016.
15. محمود عباس حمودة، الأرشيف ودوره في خدمات المعلومات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،2003.
16. مجيد الكفائي، الخاتم الأحمر، شمس للنشر والإعلام، المقطم، القاهرة، مصر، ط1، 2016.
17. منصور قيسومة، اتجاهات الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط، 2013.
18. مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدَّمار بولاية أدرار، إبَّان الاحتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
19. هاشم صالح، الانتفاضة العربية على ضوء فلسفة التاريخ، دار السَّاقي، بيروت، لبنان، ط1 ،2013.

